الفصل العاشر:
الرواية الإسرائيلية للحرب

خالد سعيد

صوّتت الجمعية العمومية للأمم المتحدة في التاسع والعشرين من نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٤٧، بأغلبية ٣٣: ١٣ صوتًا (وامتناع ١٠ أصوات، وغياب صوتٍ واحدٍ)، على تقسيم الأراضي الفلسطينية إلى دولتين، الأولى عربية، والأخرى يهودية، مع وضع مدينة القدس تحت الإدارة الدولية.

وقد استقبلت الطائفة اليهودية، القرار بالفرح والسعادة، واحتفلت، علنًا، بما اعتبرته يومًا تاريخيًا في حياتها، لكن البلاد العربية لم تبتهج للقرار ورفضته، وأعلنت تصميمها على قتال العصابات الصهيونية، للحيلولة دون تنفيذ القرار الأممي.

أرّخت المصادر العبرية بداية حرب ١٩٤٨، أو حرب " الاستقلال " أو " التحرير " (كما يطلق عليها الإسرائيليون) بصدور القرار الأممي رقم ١٨١، والخاص بتقسيم فلسطين إلى دولتين، إذ اعتبرت تلك المصادر الهجوم العربي على الأتوبيس رقم ٢٠٩٤، والذي كان في طريقه من نتانيا إلى القدس، وحاملاً مسافرين يهود، ومقتل خمسة من ركابه، بدايةً لحربٍ فاصلة، اعتبرت الحرب الأولى للصراع العربي -

الإسرائيلي [١].

مع اندلاع الحرب، تمخضت أمور مهمة عدة، وهي أجزاء هذه الدراسة، ومن بينها، المواجهات الدامية بين الجيوش العربية، كطرفٍ أول، والعصابات الصهيونية، كطرفٍ ثانٍ، ومدى استعدادهم للحرب، وكيف ينظر الإسرائيليون إليها، بعد مرور ما يقرب من الستين عامًا، على إقامة دولتهم، أو تجمعهم المزعوم، فضلاً عن الطرق الخداعية، التي احتالت بها العصابات الصهيونية لزيادة رقعة الأراضي التي سُلبت من أيدي الفلسطينيين، وذلك من خلال الرواية الإسرائيلية للحرب.

منذ انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول، بمدينة بازل السويسرية، صيف عام ١٨٩٧، بقيادة تيودور هرتزل، وانتهاءً بإنشاء الدولة اليهودية، في الخامس عشر من مايو/ آيار عام ١٩٤٨، ومرورًا بتصريح بلفور، عام ١٩١٧، والقاضي بتأييد بريطانيا لإقامة وطن قومي لليهود على الأراضي الفلسطينية، ومن بعده اندلاع ثورة ١٩٣٦ الوطنية الفلسطينية، فضلاً عن العديد من المواجهات اللاحقة بين الأهالي الفلسطينيين والعصابات اليهودية.

بيد أن الإسرائيليين، اعتبروا الصدامات، التي اندلعت، في الثلاثين من نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٤٧، بمثابة تصعيدٍ للصراع المتقطّع بين الطرفين [٢]، وبداية " حرب الاستقلال " كما يطلقون عليها.

---

(١) **دائرة المعارف باللغة العبرية (ويكبيديا)**، حرب الاستقلال.
انظر الموقع الإلكتروني www. wikpedia. co. il

(٢) حاييم هرتزوج، **الحروب العربية - الإسرائيلية (٤٨ - ١٩٨٢)**، ترجمة بدر الرفاعي،

تؤكد غالبية المصادر الإسرائيلية، أن العصابات الصهيونية، والمستوطنين اليهود، الذين كانوا موجودين قبيل إنشاء الدولة العبرية، بأنهم لم يكونوا مستعدين للحرب، كلية، كما اعتبروا أن القوات البريطانية، كانت على عداءٍ سافر، للمستوطنين اليهود [١].

لم تكن هناك خطوط فاصلة بين العرب واليهود، وغالبية المستوطنات الصهيونية كانت بمعزل عن بعضها البعض (خاصة مستوطنات النقب بالجنوب الفلسطيني المحتل)، فضلاً عن ضعف طرق المواصلات، بينها وبين التكتلات اليهودية، بالمدن الساحلية، ومدينة القدس [٢].

فعلى سبيل المثال، كان بصحراء النقب، عشية اندلاع الحرب، ٢٥ مستوطنة يهودية فقط، و٤٠٠ شخصًا في ١٤ مستوطنة (بمعدل ٢٥- ٣٠ شخصًا في المستوطنة الواحدة)، و٤٥٠ شخصًا آخرين، في ١١ مستوطنة، مقابل ما يزيد عن المائة ألف عربي بالمكان نفسه [٣].

القوات العسكرية بين الطرفين:

أولاً: الصهيوني:

اختلفت الروايات الإسرائيلية، حول عدد القوات اليهودية، أو العصابات الصهيونية، التي أمكن حشدها، عند اندلاع القتال، إذ تشير

ط١، دار سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٣، ص٧.

(١) **المصدر نفسه**، ص ١٣.

(٢) إيلان بن يعقوب، **النقب في حرب الاستقلال**، جامعة بن جوريون، ب. ت (بالعبرية).

(٣) **المصدر نفسه**.

دائرة المعارف العبرية (ويكبيديا باللغة العبرية) إلى أن تعدادهم تخطى الـ ٣٠ألفًا، فيما يرى حاييم هرتزوج، في كتابه (الحروب العربية - الإسرائيلية ١٩٤٨ - ١٩٨٢)، أن القوة اليهودية الذي أمكن حشدها من بين إجمالي تعداد اليهود، آنذاك (٦٥٠ألف نسمة)، هو حوالي ٤٥ ألفًا، بينهم ٣٠ ألفًا من الرجال والنساء كان عملهم قاصرًا على الدفاع المحلي (على حد وصفه)، معتبرًا أن القوة الفاعلة الذي أمكن حشدها ١٥ ألفًا، عند اندلاع القتال.

تشكلت العصابات الصهيونية من عدة تنظيمات، أو تشكيلاتٍ عسكرية، كان أهمها تنظيم " الهاغاناه " * ويتكون من ٢٥ ألفًا من الرجال، وتنظيم " البلماخ " من ثلاثة آلاف، و " إتسل " ** ويتكون من ثلاثة آلاف رجل وإمرأة، وتنظيم " ليحي " ***، ويتكون من بضع مئات من الرجال والسيدات [١].

في الثامن عشر من مايو/ آيار ١٩٤٨، أعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق ديفيد بن غوريون، عن إنشاء الجيش الإسرائيلي،

(*) الهاغاناه: نواة الجيش الإسرائيلي، وهي عبارة عن مجموعات مسلحة، أو ميليشيا إسرائيلية، تشكلت بهدف الدفاع عن المستوطنات الصهيونية، قبل إنشاء الدولة الصهيونية، وتعني بالعبرية " قوات الدفاع ".

(**) إتسل: تعرف بالهاغاناه (ب)، لانشقاقها عن تنظيم الهاغاناه، عام ١٩٣٧، وتعني الهاغاناه القومية، أو المنظمة العسكرية القومية.

(***) ليحي: هي اختصار لثلاث كلمات عبرية، تعني (المقاتلون من أجل حرية إسرائيل)، تأسست عام ١٩٤٠، وهدفت إلى إقامة " المملكة العبرية من النيل إلى الفرات ".

(١) ويكبيديا، **مصدر سبق ذكره**.

وتوحيد العصابات الصهيونية، تحت إمرته، وكانت منظمة " إتسل " أول من إنضم للجيش، ولحقته منظمة " ليحي " بأربعٍ وعشرين ساعة [1]، مع التأكيد على أن تنظيم الهاغاناه كان نواة الجيش الإسرائيلي.

كان إجمالي تسليح الهاغاناه، عشية الحرب، ١٠.٥٠٠ بندقية، و٣٥٠٠ رشاش، و٧٧٥ مدفع خفيف، و٣٤ مدفع هاون عيار ٣ بوصة، و٦٧٠ هاون عيار ٢ بوصة، مع ذخيرة لا تكفي إلا لثلاثة أيام فقط من القتال. وكان لدى القوات الجوية للبلماخ ١١ طائرة خفيفة، ذات المحرك الواحد، يعمل عليها ٤٠ طيارًا، فضلاً عن ٣٥٠ بحارًا سبق لهم العمل في البحرية الملكية البريطانية، وفي عمليات الهجرة غير الشرعية، بجانب عدد من القوارب البخارية والضفادع البشرية، بيد أن المدفعية، والأسلحة المضادة للدبابات، كانت مجرد حلم، فلم يكن بيد القوات الصهيونية أيًا منها[2] عشية اندلاع الحرب.

أثناء الحرب العالمية الثانية، تطوع عدد من اليهود للخدمة في صفوف القوات البريطانية، تشكلت مجموعة منهم بقوة لواء، للعمل ضد الألمان في إيطاليا، وكانت الخبرة القتالية التي اكتسبها ٣٠ ألفًا من المتطوعين، في جميع أسلحة الجيش البريطاني، كان لها الأثر الكبير، عند قيام الجيش الإسرائيلي.

اعتمدت العصابات الصهيونية في تسليحها، قبل إنشاء الدولة الإسرائيلية، على سرقة مخازن الأسلحة البريطانية، والتهريب المستمر

(١) بن كسبيت وآخرون، **أرشيف صحيفة معاريف الإسرائيلية**، ١٩٤٨/٥/١٨.
(٢) هرتزوج، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٨.

من الخارج، وتقدر بعض المصادر العبرية بأنه في الأول من إبريل/ نيسان ١٩٤٨، وصلت شحنة أسلحة تشيكية، مهربة وبكمياتٍ كبيرة، وقدرت بـ ٢٠٠ بندقية، و٤٠ رشاش خفيف، وذلك على متن طائرة واحدة، في حين وصلت السفينة التشيكية الأولى محملة بالبنادق والرشاشات الخفيفة، التي جرى تفريغها وتوزيعها، سرًا، على الوحدات العسكرية الإسرائيلية، دون إزالة الشحم عنها، في كثيرٍ من الأحوال، وقدرت البعض هذه الشحنة بأنها كانت دفعة معنوية كبيرة للعصابات الصهيونية، خاصةً وأن بعض هذه المصادر العبرية أشارت إلى وجود الآلاف من البنادق والرشاشات، وألفين من القنابل الموقوتة، وعدد كبير من الطائرات، (ولم تذكر العدد تحديدًا) [١].

حاولت منظمة " إتسل "، في الثاني والعشرين من يونيو/ حزيران ١٩٤٨، الاستيلاء على سفينة أسلحة قادمة من أوروبا، وتدعى " ألتلنا "، على متنها تسعمائة متطوع وأسلحة وذخيرة، قدرت بالآلاف وأمرهم بن غوريون بتسليم هذه الأسلحة للجيش الإسرائيلي، إلا أن نزاعًا نشب بين منظمة " الهاغاناه "، التي تشكل منها الجيش الإسرائيلي، ومنظمة " إتسل "، اشتعلت النيران في السفينة، على إثره، وغرقت، وقتل ١٣ رجلاً، وأصيب ٤٨ آخرين[٢].

(١) مائير باعيل، **حروب إسرائيل (حرب الاستقلال)**، ١٩٩٨، انظر الموقع الإلكتروني www. lib. cet. ac. il

(٢) بن كسبيت وآخرون، **معاريف**، ٧/٢٢/ ١٩٤٨.

ثانيًا :العربي:

عندما اقترب الموعد الذي حددته بريطانيا للإنسحاب من فلسطين، كانت الجامعة العربية قد اتخذت قرارها بتدخل دولها الأعضاء، عسكريًا، حيث اشتركت مصر، في بداية الحرب، بـ١٠ آلاف رجل، وبمرور الوقت، وصل العدد إلى ٢٠ ألف جندي، وكان الجيش المصري أقوى الجيوش العربية، وسوريا اشتركت، في البداية، بـ٢٥٠٠ جندي، وصلوا إلى ٥ آلاف، بمرور الوقت، أما الجيش العراقي فكان يتكون في مطلع الحرب من ٥ آلاف جندي، وصلوا، نهاية الحرب إلى ١٧ ألف جندي [١].

تشكل الجيش اللبناني في البداية من ألف جندي، وصلوا مع مرور الوقت إلى ألفي جندي، بيد أن " الفيلق العربي " كان القوة العسكرية الأفضل بين القوات العربية، تدريبًا وأكثرها فاعلية، حيث تولى قيادته الضابط البريطاني " جون باغوت غلوب باشا " أحد محاربي الحرب العالمية الأولي المحنكين. وضم الفيلق أكثر من ١٠آلاف مقاتل، منظمين في ثلاثة ألوية، وعدد من كتائب الدبابات، وعناصر المدفعية. فيما شكّل " الجهاد المقدس " وحدتين تابعتين لأمين الحسيني مفتي القدس، والذي تألف من ألفين من الرجال الأشداء، وتشكلت قوة عسكرية أخرى سميت " جيش الإنقاذ العربي "، بقيادة الضابط اللبناني إبن طرابلس الشام فوزي القاوقجي.

(١) ويكبيديا، مصدر سبق ذكره.

على اعتبار أن بعض الجيوش العربية تملك عددًا كبيرًا من الدبابات والطائرات، وأنها، في الأساس، جيوش نظامية، تفتقر إليها القوات أو العصابات الصهيونية، فإن الإسرائيليين رأوا، في ذلك، دفعة معنوية كبيرة سجلت لصالح اليهود، آنذاك، فقد ذكروا أن الفارق الضخم بين الجيوش العربية، عدة وعتادًا، وبين القوات الإسرائيلية، التي تشكلت قبيل إنشاء الدولة، وكانت بمثابة حربًا من أجل البقاء.

المواجهة العسكرية:

اندلعت الحرب بين الطرفين، في شكل سلسلة من اشتباكات المدن، مواجهات دموية، عمليات " اضرب واهرب "، تخلف وراءها قتلى ومشوهين وجرحى من أهالي المدن، عند كلا الجانبين، هجمات على خطوط المواصلات بين المدن، ومحاولات لقطع طرق الإتصال بين المدن الرئيسية، ومحاولة عزل العرب للمستعمرات الصهيونية النائية، وعلى الرغم من أن المنطق العسكري الإسرائيلي كان يرى تقصير خطوط المواصلات عن طريق هجر مثل تلك المستوطنات، فإن الهاغاناه اتخذت قرارًا، من حيث المبدأ، بعدم هجر أي منها طواعية.

فقد كانت القيادة الإسرائيلية تقدر جيدًا أن ترك القرى، حتى لأسباب استراتيجية بحتة، يمكن أن تكون له نتائج خطيرة على المدى البعيد، فقد رأى الإسرائيليون أن الحدود النهائية للدولة اليهودية الجديدة سوف تتحدد، قبل أي شيء، على أساس التواجد الفعلي ومواقع المستوطنين اليهود، وهكذا، وبرغم شدة المعارك بين الجانبين، لم تهجر مستوطنة

يهودية واحدة، حتى دخول الجيوش العربية الحرب [١].

بنهاية عام ١٩٤٧، وصل إلى صحراء النقب مئات المتطوعين من تنظيم " الإخوان المسلمين " المصريين، والذين حاولوا الهجوم، أكثر من مرة، على المستوطنات الصهيونية بالنقب [٢].

في الوقت الذي أعلن فيه البريطانيون عن نقل ١٤ مستوطنة صهيونية، الواقعة جنوب خط غزة - بئر السبع، رفض ممثلو اليشوف اليهودي إخلاء المستوطنات، وقرر بن غوريون إقامة لجنة " النقب " (وشملت ممثلين من " الكيرين كيمت " *، والمركز الزراعي)، للدفاع عن المستوطنات ومن فيها، وتوفير المؤن، وبناء دُشم وتحصينات ميدانية، ومحاولة السيطرة على طرق النقب [٣].

كان المجهود العربي الرئيسي موجهًا في تلك الأثناء نحو تعطيل خطوط المواصلات الصهيونية، ونجحت القوات العربية، في البداية، في قطع الطرق التي تربط مدن الساحل بالقدس، وعزلت منطقة النقب، تمامًا، والوسيلة الوحيدة للإتصال كانت طائرة " بايبركب "، وكان قائدها عيزرا فايتسمان، والذي أصبح، فيما بعد، الرئيس السابع لإسرائيل.

على الرغم من هذا الحصار، نجح المستوطنون، في صحراء النقب في تدشين المستوطنة رقم (٢٦)، أثناء الحصار نفسه، حيث استطاعوا

(١) هرتزوج، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢١.

(٢) بن يعقوب، **مصدر سبق ذكره**.

(*) الكيرين كيميت: بنك إسرائيل، وخصص لشراء وسلب الأراضي من الفلسطينيين، والاحتفاظ عليها، وتخصيصها لليهود.

(٣) **المصدر نفسه**.

اختراق بعض القوات المصرية فيها، وإنشاء قواعدها بسرعةٍ مذهلة.

بنهاية مارس/ آذار ١٩٤٨، نجحت القوات العربية في كسب الجولة الأولى من الحرب، نتيجة لأسباب عدة، من بينها نجاح عزل مناطق رئيسية، كالقدس، والنقب، وأجزاء من الجليل الغربي، وكذا لقلة العتاد العسكري الصهيوني.

بعدها بدأت جولة جديدة من الصراع العسكري بين الطرفين، خاصة مع وصول الأسلحة المهربة من تشيكوسلوفاكيا إلى إسرائيل، إذ تبادل الجانبان العربي والصهيوني، الإستيلاء على العديد من القرى العربية، والمرتفعات والمواقع الاستراتيجية، وتبادل الطرفان السيطرة عليها، أكثر من مرة.

نجحت العصابات الصهيونية في إحتلال بعض القرى العربية، باستغلال عنصر المفاجأة، خلال ساعات الليل، وتحت جنح الظلام، فكان أسلوبهم المعتاد، خلال الأشهر التي سبقت إنشاء دولتهم، هي الإحتلال ليلاً، وتدمير البيوت، ومن ثم الإنسحاب في الصباح، فيما استطاعت قوات " القاوقجي "، بشكلٍ خاص، إستغلال تفوقها العددي والتسليحي في إستعادة هذه القرى والمواقع التحصينية، نهارًا [١].

في هذه الأثناء، تمكنت وحدة كوماندوز من تنظيم الهاغاناة من نسف مقر حسن سلامة، أحد القادة العسكريين الفلسطينيين البارزين، خلال

(١) مذكرات رفائيل إيتان، **شخصيات صهيونية**، ط١، دار الجليل للنشر، عمان، ١٩٨٦، ص١٧.

الحرب، بالقرب من مدينة القسطل، غرب القدس، والذي ترك أثرًا معنويًا بالسلب على بقية القوات العربية [١].

استكمل هذا الأثر السلبي بقيام العصابات الصهيونية بالعديد من المذابح بحق الشعب الفلسطيني، كان أشهرها مذبحة دير ياسين، التي اعتبرت انطلاقةً قوية نحو إنشاء الدولة الصهيونية، نتيجةً لميل الكفة في صالح العصابات الصهيونية.

روت صحيفة " دافار " الإسرائيلية، في التاسع من يونيو/ حزيران ١٩٧٩، حول مذبحة قرية " دويمة "، عام ١٩٤٨، قائلةً: " قتل ما يتراوح بين ٨٠ و١٠٠ من العرب، نساء وأطفالا، كانوا يهشمون رؤسهم بالعصي، ولم يبق منزل واحد بلا جثث فيه، نسفت منازلهم بالديناميت،... جندى كان يفخر بنفسه لأنه اغتصب امرأةً عربية، قبل أن يطلق النار عليها، واستخدمت هذه المذابح كطريقة للطرد والإبادة " [٢].

" لقد حدثت معجزة مزدوجة، في عام ١٩٤٨، إذ أنقذ الله اليهود الذين كانوا، في (دولة إسرائيل) من العرب، ومن أنفسهم، إن أكبر بركة حظي بها اليهود، مع قيام دولتهم، كانت الهروب العشوائي الذي جاء نتيجة للرعب الذي تملك العرب، وجعلهم يهربون من " دولة اليهود " الجديدة، وبهذه الطريقة تخلصت " الدولة " من أقلية كبيرة كان من شأنها

(١) بن كسبيت وآخرون، **معاريف**، إبريل/ نيسان ١٩٤٨.

(٢) ليفيا روكاش، **الإرهاب الإسرائيلي المقدس**، دراسة مبنية على مذكرات شاريت الشخصية، ص٢٥.

تخريبها من الداخل " [١].

الخطة (د):

تيقنت العصابات الصهيونية، قبيل إنشاء الدولة الإسرائيلية، من أن الجيوش العربية ستهجم، لا محالة، على تلك العصابات، وستطردها، وتلقي بهم في البحر، لذلك قاموا بإعلان الخطة(د)، التي تدعو إلى تأمين كافة القرى والمواقع الحصينة التي استولوا عليها، ومحاولة احتلال أجزاء كبير من الأراضي الفلسطينية الأخرى، والسيطرة على طرق المواصلات الحيوية، وسقطت بعدها عدة مدن عربية رئيسية، مثل طبرية، وصفد، وحيفا، ويافا، بالإضافة إلى فك حصار مستوطنات النقب بالجنوب[٢].

تكوين الدولة الإسرائيلية "التجمع الصهيوني":

في تلك الأثناء، كان الجلاء البريطاني يتم حسب خطته المقررة، فقد انسحبت القوات البريطانية، تباعًا، من عدد من المناطق بفلسطين، دون أن تنقل سلطاتها الإدارية ألى أي جهة أخرى، تاركة خلفها فراغًا، وحالة من الفوضى الشاملة، حيث رأت بريطانيا أن انسحاب الـ ١٠٠ ألف جندي بريطاني من فلسطين، سالمين، هو نجاح كبير لها، مع عدم التدخل بين الطرفين العربي والإسرائيلي [٣].

---

(١) مائير كاهانا، **شوكة في عيونكم**، ترجمة غازي السعدي، ط١، دار الجليل للنشر، عمان، ١٩٩٥، ص ٢٠٥.

(٢) بن يعقوب، **مصدر سبق ذكره**.

(٣) حرب الاستقلال، **الموقع الإلكتروني للكنيست الإسرائيلي**، انظر الموقع الإلكتروني www. knessit. co. il

جاء هذا في الوقت الذي كانت القيادة الإسرائيلية تناقش فيه مسألة وجوب إعلان ما يسمى " بالإستقلال "، في الرابع عشر من مايو/ آيار ١٩٤٨، موعد الإنسحاب البريطاني، من عدمه، لتحاشي دفع الجيوش العربية لخوض حرب بين الطرفين، لكن بن غوريون، الذي كان يرأس، في ذلك الوقت، ما يعرف بحكومة إسرائيل المؤقتة، قرر أن يستغل الفرصة التاريخية، التي سنحت للإسرائيليين، ليعلن قيام دولة إسرائيل ليلة، الخامس عشر من مايو/ آيار ١٩٤٨.

في الوقت الذي أعلن فيه عن قيام دولة للتجمع الصهيوني، عبرت الجيوش العربية الخمسة الحدود، لتحرير الأراضي الفلسطينية المحتلة من العصابات الصهيونية، حيث عزم كل جيش أن يعمل وفق مصالحه الوطنية، على حد زعم حاييم هرتزوج[١].

فكان على اللبنانيين أن ينطلقوا بطول الساحل الشمالي، نحو مدينة نهاريا اليهودية، وعلى السوريين أن يعبروا إلى شمال وجنوب بحيرة طبرية، والتقدم إلى مدينة سمخ، بهدف السيطرة على الجليل، وكان على العراقيين أن يعبروا الأردن جنوبي بحيرة طبرية، والتحرك، خلال المثلث العربي، والتقدم نحو مدينة نتانيا، على ساحل البحر المتوسط، لشق ما استولى عليه اليهود، إلى قسمين.

فيما كان الهدف المحدد للفيلق العربي الأردني السيطرة على نابلس، " الضفة الغربية "، أو السامراء، بلواء واحد، بينما يستولي اللواء الآخر

(١) هرتزوج، **مصدر سبق ذكره**، ص ٥٣.

على الرملة، عند مشارف تل أبيب بالسهل الساحلي، ويظل اللواء الثالث كاحتياطي.

أما المصريون فكان عليهم أن يتحركوا بقوتين: الكتلة الرئيسية، تنطلق من العريش، وتتقدم بطول السهل الساحلي، لتسيطر على غزة، ثم تتقدم، شمالا، نحو تل أبيب، وعلى القوة الأخرى، والتي يدعمها متطوعو الإخوان المسلمين، التوجه صوب الشمال الشرقي، مرورًا بمدن العوجة، وبئر السبع، والخليل، ومواجهة القوات اليهودية، المدافعة عن المداخل الجنوبية للقدس.

في حين أوكل إلى " جيش الإنقاذ العربي " مهمة الدفاع المحلي.

ويبدو أن التنسيق بين القوات العربية كان مفتقدًا، فقد كانت منقسمة أكثر منها موحدة، حتى أنه عندما اقترب الموعد، الذي حددته بريطانيا للإنسحاب من فلسطين، كانت الجامعة العربية قد اتخذت قرارها بالتدخل، لكن الإعداد للحرب في مواجهة العصابات الصهيونية تم على أرضية الخلافات العربية، المتعذر تجنبها، ومكائد ومناورات العديد من الحكام العرب، ضد بعضهم البعض.

فالملك فاروق، على سبيل المثال، قد توصل إلى استنتاج مؤداه القيام بمغامرة عسكرية كبيرة، في ظل ما تخيله فرصة لصالحه، من أجل صرف الرأي العام المصري عن المشاكل الداخلية، قد يمكن أن تسهم في تدعيم مركزه، وأنه بمساهمته بقوة كبيرة، يمكنه أن يفشل نوايا الملك عبد

الله في استغلال الموقف وإحكام سيطرته على الأراضي الفلسطينية [١].

على العكس، كان الإسرائيليون على وعي بأنهم يقاتلون حماية لأرواحهم، وأرواح أطفالهم ونسائهم، وكانوا يتمتعون بقيادة بارعة، يولونها ثقتهم، وثمة تنسيق بين وحداتهم المقاتلة، بحيث تمكنوا من تحريك احتياطي قواتهم من جهة لأخرى، أثناء الحرب.

فيما كانت القوات الإسرائيلية، آنذاك، تتكون من تسعة ألوية للعمليات، مقسمة بطول وعرض المدن الفلسطينية.

في السادس من صباح الخامس عشر من مايو/ آيار ١٩٤٨، ومع طلوع أول فجر لتجمع صهيوني، شكّل دولة إسرائيل، شن سرب من ٦ طائرات مصرية غارات جوية على مدينة تل أبيب، وفجّر الميناء، والمطار فيها، وأسقط العشرات من الإسرائيليين، ما بين قتيل وجريح، في حين سقط أحد الطيارين المصريين الستة في الأسر، بعد أن نجح في الهبوط من طائرته، التي تصدت لها نيران المدفعية الإسرائيلية، من سلاح الطيران اليهودي " الإسرائيلي "، الذي تشكل في اليوم الأول من الحرب[٢].

في الوقت نفسه، تقدم الجيش المصري في الجنوب، حيث اتجهت قوته الأولى عن طريق الشاطئ، من رفح باتجاه تل أبيب، واستطاع السيطرة على مدينة غزة، وحاول التقدم نحو أسدود. بيد أن الإسرائيليين

(١) **المصدر نفسه**، ص ٨٠.
(٢) بن كسبيت وآخرون، **معاريف**، ١٩٤٨/٥/١٥.

استطاعوا تدمير الجسور المؤدية إلى المدينة، في حين تقدم الجيش المصري بقوته الثانية، بتدعيم قوي من جماعة الإخوان المسلمين، نحو العمق الفلسطيني، وتمكن من السيطرة على خط: المجدل - الفالوجة - بيت جبرين - الخليل، وخط: أسدود - القسطينة، واستطاع المصريون عزل المستوطنات الصهيونية في النقب، بيد أن كل هذه النجاحات كانت في بدايات الحرب الحقيقية، التي تلت إعلان الدولة، ودخول الجيوش العربية للأراضي الفلسطينية [١].

ألقت بعض الطائرات المصرية على مستوطني النقب لافتات باللغة العبرية، تحض الصهيونيين على الاستسلام، إذ كتب فيها: " عليكم إخلاء المستوطنات، و إلقاء السلاح، بهدوء، ورفع العلم الأبيض، وذلك خلال ساعة واحدة، ومن لم يلتزم بالتعليمات، فليخرج لمحاربتنا " [٢].

تحرك الجيش الأردني في الشرق، ليركز قطاعاته في وسط فلسطين، في مناطق القدس، ورام الله، واللد والرملة، على بُعد ١٠ كم من تل أبيب، بينما حقق الجيش العراقي بعض النجاحات، في مناطق جنين، ونابلس، وطولكرم، ووصل إلى مسافة ١٠ كم شرق نتانيا اليهودية، في حين سيطر الجيش السوري في الشمال على مدينة سمخ الإستراتيجية.

في هذه الأوقات، لجأ المستوطنون الصهاينة إلى الحيلة والخداع، فكانوا يقومون على سبيل المثال، بحشد جميع لورياتهم وجراراتهم،

(١) د. محسن محمد صالح، **فلسطين (دراسات منهجية في القضية الفلسطينية)**، مركز الإعلام العربي، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٢٩٤.

(٢) بن يعقوب، **مصدر سبق ذكره**.

لتصعد الجبل غربي بحيرة طبرية، ليلاً، وهي مطفأة الأنوار، ثم تعود، وهي مضاءة، وتكررت العملية على مدى ليال عدة لخلق الإنطباع بتدفق المساعدات [١].

في المقابل، أرسل بن غوريون خطابات تهدئة وتحفيز لمستوطني صحراء النقب، حثهم فيها على الصبر، ووعدهم بأنه سيقدم العون والمؤن، في أقرب وقت، وأنهم بصبرهم سيحصدون النجاحات، حتى أنه وعدهم بأن مدينة أم الرشراش " إيلات "، ستكون ميناءً دوليًا، وقد كان! [٢]

بيد أن سلاح الطيران اليهودي قد استطاع تدمير الجسور، والطرق الرئيسية، المؤدية إلى مدن الشمال الساحلية، بداية من أسدود، لقطع الطريق على القوة المصرية، وهو ما كان سببًا رئيسيًا في عدم تقدم تلك القوة باتجاه الشمال نحو تل أبيب.

كما أن عملية فتح طرق صحراء النقب، قد سميت باسم " أن - فار "، وتعني " أنتي فاروق " أو ضد الملك فاروق الأول، ملك مصر والسودان، كنوعٍ من التحفيز والحشد المعنوي للمستوطنين الصهاينة [٣].

وكحافزٍ آخر للإسرائيليين في استبسالهم ضد الجيوش العربية، أعلنت بلدية تل أبيب أنها ستطلق أسماء الميادين العامة، والشوارع الكبيرة، في المدينة بأسماء الذين سقطوا أثناء الحرب، كنوعٍ من التحفيز والتشجيع

(١) هرتزوج، **مصدر سبق ذكره**، ص ٥٧.
(٢) بن يعقوب، **مصدر سبق ذكره**.
(٣) **المصدر نفسه**.

المعنوي بأنهم سيخلدون، بعد مماتهم [١].

في هذه الأثناء، استطاعت غولدا مائير، وزيرة العمل، آنذاك، (ورئيس الوزراء الأسبق فيما بعد) أن تجمع ما يزيد عن الـ ١٥ مليون دولار، خلال رحلتها للولايات المتحدة، التي حُولت، في الحال، للجيش الإسرائيلي لشراء الأسلحة من أوروبا، وذلك رغم إصابتها في حادث سيارة بنيويورك، في الرابع من يوليو/ تموز ١٩٤٨ [٢].

في الإطار نفسه، أعلنت الحكومة الإسرائيلية، برئاسة ديفيد بن غوريون، عن فرض التأمينات على العائلات، التي ينضم أحد أبنائها للجيش، حيث ضمت كدفعة اولى منهم ما يزيد عن الـ ٩٠٠٠ عائلة، بكلفة ٢٢٠ ألف ليرة [٣].

الهدنة:

وافق الطرفان، العربي والإسرائيلي، على الهدنة، التي اقترحتها الأمم المتحدة، وبدأت في الحادي عشر من يونيو/ حزيران، وانتهت، في التاسع من يوليو/ تموز، نظرًا لأن القتال كان عنيفًا وشرسًا، فقد رحبت الجيوش الميدانية من الجانبين بفترة الاستراحة تلك " شهر من الراحة دون مقابل "، على حد تعبير غلوب باشا.

وكان الإسرائيليون، بشكلٍ خاص، أحوج ما يكونوا إلى مثل تلك الفترة، لإعادة التنظيم، وترتيب الصفوف، وتعويض الخسائر، فضلاً عن

(١) بن كسبيت وآخرون، **معاريف**، مايو/ آيار ١٩٤٨.
(٢) جولدا مائير، **حياتي**، ترجمة دار الجليل للنشر، ط١، عمان، ١٩٨٩، ص ٩٠.
(٣) بن كسبيت وآخرون، **معاريف**، ١٠/ ١٩٤٨/٦.

جلب واستيعاب سيل المعدات الذي تراكم في الخارج، بالإضافة الى التدريب المكثف لإستيعاب العتاد الحربي الذي وصل من تشيكوسلوفاكيا، بوجهٍ خاص.

حتى تلك اللحظة، كانت تحركات الجيش الإسرائيلى تأتي ردًا على الهجمات العربية، لكن بعدما انتهت الهدنة الأولى، بدأ الجيش الإسرائيلي في الإمساك بزمام المبادرة، واستطاع أن يحقق بعض النجاحات.

في خضم الهدنة الأولى بين الطرفين، ادعت إسرائيل أن سلاح الجو الأردني استخدم قنابل محرمة دوليًا، حيث أشارت صحيفة " معاريف " الإسرائيلية إلى أن قوات الأردن كانت تستخدم قنابل ألمانية الصنع تسقط من الجو، وتنفجر فور سقوطها بدقائق، مؤكدة أنها قنابل محظورة دوليًا (١).

لم تحسن الجيوش العربية استغلال الفرصة المواتية لهدنة ثانية، بدأت في الثامن عشر من يوليو/ تموز، وانتهت في الخامس عشر من أكتوبر/ تشرين الأول، حيث أحسن الإسرائيليون استغلال هذه الفرصة، بالتنظيم الجيد، وترتيب الصفوف، وجلب الأسلحة من الخارج، وتحقيق المزيد من النجاحات، فيما تلاها من أيام على كل الجبهات، خاصة في منطقتي الجليل والنقب.

لقد أدرك الإسرائيليون أهمية صحراء النقب بالنسبة إليهم، كزيادة في رقعة حدودهم، رغم اقتراح الكونت فولك برنادوت، وسيط الأمم المتحدة،

(١) **المصدر نفسه**، يوليو/ تموز ١٩٤٨.

إعطاء النقب للعرب، مقابل الجليل لليهود، لكن الإسرائيليين أرادوا السيطرة على النقب، كما أرادوا السيطرة على مناطق شاسعة من الأراضي الفلسطينية الأخرى، لذلك زادوا من هجماتهم على القوات المصرية الموجودة بالنقب، بهدف إرغامهم على الإنسحاب.

تحقق الهدف الإسرائيلي بإجبار المصريين على الانسحاب، إلى الجنوب، واستطاع الجيش الإسرائيلي تفريق ألويته، وإخضاع ما يزيد عن ٤ آلاف مصري تحت الحصار، في " جيب الفالوجا "، وقطع خطوط الاتصال عنهم.

نجحت القوات الإسرائيلية في إحداث العديد من الثغرات بين القوات المصرية في الجنوب، وصارت هذه القوات في المنطقة ما بين فار أو أسير، وذلك لإجبار المصريين على سحب بقايا قواتهم من جنوب غربي فلسطين، وتحديدًا غزة، وذلك بعد أن تعمقت قوات إسرائيلية في قلب سيناء المصرية، ولولا التحذيرات البريطانية بالتدخل الى جانب المصريين، بموجب معاهدة ١٩٣٦، لوقعت القوات المصرية، التي كانت قد بدأت انسحابها، بالفعل، من غزة، في الثاني من يناير/ كانون الثاني ١٩٤٩، في الفوضى والهلاك! [١]

استغلت القوات الإسرائيلية ترهل وتفكك الجيش المصري وهزيمة الجيوش العربية، بشكلٍ عام، في التعمق جنوبًا، باتجاة البحر الأحمر، خاصة مع موافقة الأطراف العربية على وقف إطلاق النار، حيث

(١) هرتزوج، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٢٠.

استطاعت توسيع أراضيها جنوبًا، حتى " أم الرشراش "، أو إيلات، ورفعت عليها العلم الإسرائيلي[1]، وكان احتلال إيلات إيذانًا بنهاية حرب ١٩٤٨، أو حرب " الاستقلال ".

قبيل احتلال ام الرشراش المصرية، وبسريان وقف إطلاق النار، وافقت مصر على مفاوضات لتوقيع اتفاقية الهدنة مع إسرائيل، والتي بدأت في ١٣ يناير/ كانون الثاني ١٩٤٩، ووقعت، في ٢٤ فبراير/ شباط ١٩٤٩، بجزيرة رودس في البحر المتوسط. وكان على رأس الوفد المصري العقيد محمد إبراهيم سيف الدين، في حين ترأس الوفد الإسرائيلي مدير عام وزارة الخارجية، إيجال يادين، ومعه إسحاق رابين، الذي أصبح رئيسًا لوزراء إسرائيل لاحقًا [2].

ووقعت لبنان على الاتفاقية ذاتها، في ٢٣ مارس/ آذار ١٩٤٩، في حين وقع الأردن (الدولة العربية الثالثة) في ٤ إبريل/ نيسان ١٩٤٩، وترأس الوفد الأردني الملك عبد الله، في حين ترأس الوفد الإسرائيلي وزير الدفاع الأسبق، موشيه دايان.

أما سوريا (الدولة الرابعة و الأخيرة) فقد وقعت على اتفاقية الهدنة مع إسرائيل، في ٢٠ يوليو/ تموز ١٩٤٩.

فقدت إسرائيل ما يزيد عن ٦٣٧٣ إسرائيليًا، من بينهم ٤٠٠٠ جنديًا وحوالي ٢٤٠٠ مستوطنًا، في حين فقد العرب ما يزيد عن الـ ١٥

(١) بن يعقوب، **مصدر سبق ذكره.**
(٢) بن كسبيت وآخرون، **معاريف**، ١٩٤٩/١/١٣.

ألف جندي، وعدد غير معروف من الفلسطينيين [١].

استنتاجات

١ - تعمد الإسرائيليون عدم ذكر " الفلسطينيين "، والحديث عن جيوش عربية غازية، وتصويرها على أنها اعتدت على حقوق اليهود، وبالتالي ليس لها حق في الحرب.

٢ - ارتكزت الآلة العسكرية الإسرائيلية على عنصر المرونة والمفاجأة، والابتكار، وأصبح القتال الليلي بمثابة طبيعة عادية، على عكس القوات العربية، التي لم تستطع مجاراة الإسرائيليين في القتال الليلي، فكانا يتبادلان الأدوار، العرب يسيطرون على مكان ما، نهارًا، ثم يعاود الإسرائيليون، السيطرة عليه، أو احتلاله، ليلاً.

٣ - المرونة والسرعة في التفكير، والتكيف مع المواقف المختلفة، وغير المتوقعة، أثناء مجريات الحرب.

٤ - لم يستفد العرب من تفوقهم العددي والتسليحي، واعتبروا أنفسهم في نزهة حربية، أو جولة استطلاع، على عكس الإسرائيليين، الذين اعتبروا هذه الحرب بمثابة حياة أو موت، إما الحياة على أرضٍ اعتبروها وطنًا لهم، أو إلقائهم في البحر.

٥ - عدم استغلال طبيعة الأرض الفلسطينية لصالح العرب، وذلك لعدم معرفتهم الجيدة بها.

٦ - استخدام المذابح الصهيونية في الدعاية لترويع الأهالي

(١) ويكيبيديا، مصدر سبق ذكره.

الفلسطينيين، ودفعهم لمغادرة أراضيهم، وتعمد نشر هذه المذابح، لزيادة المخاوف لدى الغير.

٧ - استغلال حالة الضعف والوهن، التي بدت على الجيوش العربية، نهاية الحرب، في توسيع رقعة الأراضي الإسرائيلية.

٨ - تحفيز القيادات الإسرائيلية للمستوطنين، باستمرار، وإطلاق أسماء الجنود القتلي على الميادين العامة والشوارع الرئيسية في مدينة تل أبيب.

* * *